موقع العناصر اللسانية ودورها في تصنيف الجملة العربية عند ابن هشام الأنصاريّ

The location of the lexical elements and his role in classifying the Arabic sentence at Ibn Hisham al-Ansari

د عبد الحميد بوترعه[1,*]

1جامعة الوادي الجزائر، hamid752007@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2022/02/15 **تاريخ المراجعة**:2022/05/22 **تاريخ النشر**: 2022/06/15

ملخص:

يعدّ ابن هشام الأنصاريّ من أبرز علماء ونحاة المدرسة المصرية، النّحويّ الكبير الذي يأخذ من مختلف النحويّين على اختلاف مدارسهم وميولهم ومذاهبهم فيقبل بعضها ويردّ الآخر بعد نقد وبحث وتمعّن، مع انفراده ببعض الآراء والتوجيهات. وقد كانت له جملة من الآراء النحويّة لاسيما في الجملة من حيث مفهومها واعتبارات تصنيفها، وأهميّة موقع صدارة العنصر اللساني فيها ودوره في تعريفها وضبط تصنيفها. وهو ما نعملُ على الكشف عنه من خلال هذه الدراسة والبحث فيه.

الكلمات المفتاحية: ابن هشام،الجملة،أصناف،الصدارة.

Abstract:

Ibn Hisham al-Ansari is one of the leading scholars and sculptors of the Egyptian school, the Great Grammar, Which is taken from different grammars, with different schools, tendencies and doctrines, and accepts some of them. The other is received after criticism and careful consideration, with some views and guidance. Having had a range of grammatical views, particularly in the sentence in terms of its concept and classification considerations, and the importance of the prominence of the lexical element and its role in defining and regulating its classification. This is what we are working to uncover through this study and research.

Key words: *Ibn Hisham, the sentence, classes, the fore*

مقدّمة:

لقد اهتمّ الدّارسون في مختلف الأمم منذ زمن غير قريب باللّغة، طبيعتها ونشأتها، وكيف تكوّنت تراكيبها والدّلالة التي تؤدّيها التّراكيب، فاتّجه علماء اللّغة من القدامى والمحدثين إلى تحليل الجملة بعد أن أوسعوا الكلمة بحثا هادفين إلى الوصول إلى كنهها وكشف حقيقتها. ومن أشهر هؤلاء العلماء وألمعهم صيتًا ابن هشام الأنصاريّ(ت761 ه)، فهو من بين علماء اللّغة المتأخّرين المنتمي إلى المدرسة المصرية. ابن هشام الذي شهدت دراسة النحو معه نشاطًا واضحًا[1]، ولا نبعد إذا قلنا إنّه أهمّ نحويّ مصريّ خاصّة مع تكاثر واضعي الشروح والحواشي في عصره وبخاصّة على مصنّفاته ومصنّفات ابن مالك، فلا تزال مؤلّفات ابن هشام الأنصاريّ النّحويّ من أوْفَى الكتب النحويّة مادّة ومنهجًا؛

* المؤلف المراسل.

لأنّ الرجل قد جمعَ مذاهب النحاة ونقّاها واختصرها، وقدّمها لأبناء اللّغة العربيّة بعدما انفرد- كما يقول مترجمو حياته- بالفرائد العربيّة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البالغ والاطّلاع المفرط والاقتدار على التصرّف في الكلام والملكة التي كان يتمكّن بها من التعبير عن مقصوده لما يريد مسهبا وموجزا مع التواضع البّر والشفقة ودماثة الخلق ورقّة القلب بحيث يصحّ أن نطلق عليه لقب الباحث النحويّ الحرّ[2]. ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ كتابه "المغني" في الواقع موسوعة كبرى لعرض آراء النحاة السّابقين له في مختلف الأصقاع العربية، وهو ليس عرضا فقط بل مناقشة واسعة لتلك الآراء وتبيين الصحيح منها والفاسد، مع كثرة الاستنباطات و اشتقاق الآراء المبتكرة وغير المسبوقة.[3]فعلى هذا النّحويّ الكبير وعلى جملة آرائه النحوية لاسيما في الجملة العربية خاصّة من حيث التصنيف يستوقف حديثنا في هذا المقال، فنعرّف به أوّلا، ثمّ ننظر في تعريفه للجملة واعتبارات تصنيفها والتي أكّد فيها على ضرورة مراعاتها لاسيما من حيث موقع العنصر اللساني وصدارته في الجملة مقارنة ببقية العناصر الأخرى.

من هنا نطرح الإشكال الآتي: ما مفهوم الجملة العربية عند ابن هشام الأنصاريّ؟ و فيم تبدو أهميّة موقع صدارة العناصر اللسانية في تصنيفه لها؟

والذي بدوره تفرّع إلى الإشكالات الآتية:

- ما مفهوم الجملة عند ابن هشام؟ وما هي أصنافها عند القدامى والمحدثين؟
- ما هي أصناف الجملة عند ابن هشام؟ وما دور موقع الصدارة في تحديدها؟

واتّبعنا في طرح هذه القضية وتحليل هذه الإشكالات المنهج الوصفي المشفوع بالتحليل مع تقسيم الدراسة إلى مبحثين وتحت كلّ منهما جملة من المطالب:المبحث الأوّل: مَنْ هو ابن هشام الأنصاريّ(مولده ونشأته- حياته العلمية) والمبحث الثاني: مفهوم الجملة وأصنافها عند ابن هشام(مفهوم الجملة عند ابن هشام الأنصاري-أصناف الجملة العربية بين القدامى والمحدثين - أصناف الجملة عند ابن هشام).

أوّلاً- مَنْهو ابن هشام الأنصاريّ:

يعرض هذا المبحث ترجمة للعالم النحويّ واللغويّ الفذّ ابن هشام الأنصاريّ، موطن ولادته، وبيان نشأته ووفاته، وأثر القاهرة والبيئة المصرية في شحذ همّته وصقل ملكاته وتنشيط فكره، في علوم شتى اهتمّ بها في مقدّمتها علوم القرآن وفنون العربية والنحو والصرف على وجه الخصوص، إضافة إلى حياته العلمية تمدْرُسًا وتدريسًا، مُتعلّمًا ومُعلّمًا وعالمًا، وما تركهُ من مؤلّفات شهدت له بالعلم والتميّز والاقتدار في فنون العربية وعلومها.

1- مولده ونشأته:

ابن هشام الأنصاريّ المصري مولدًا ونشأةً، النحوي الكبير الذي ولد ونشأ بالقاهرة موطن الفكر والحضارة في القرن الثامن الهجري في بيئة أحاطته بالعلم فترسّخت قدمهُ، فحظي بعلوم شتّى، وهو عالم موسوعيّ واسع الاطّلاع غزير الإنتاج، وقد اشتغل بعلوم العربية ونالت عنده الحظّ الأكبر لاسيما النحو والصرف.

ابن هشام هو أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري. ولد بالقاهرة يوم السبت خامس ذي القعدة سنة ثمان وسبعمائة هجرية[4]، وبها توفيّ سنة 761هـ. ولد ابن هشام ونشأ

وتوفيّ بالقاهرة مهد الحضارة وقبلة الفكر والثقافة يوم ذاك[5]. لكن البيئة المصرية هي التي كان لها التأثير المباشر فيه فمصر كانت أيّام المماليك، بالنسبة لبقية الأقطار العربية – موئل الرّجاء ومركز الحضارة، لقد شهدت حركة عظيمة في التأليف، وكانت منابع المؤلّفين وسادت كتبهم ما خلّفه الشرق العربي من تراث ضخم تعاقبت على بنائه الأجيال وما جاء من المغرب والأندلس، وقد صهرت بيئة مصر هذا النتاج وصبّته في قالب جديد وحظيت الدراسات الدينية بالمنزلة الأولى في التأليف، ولعلّ النّحو والصّرف في مقدّمة فنون العربية التي حظيت من العناية بنصيب أوفر، فقد وضعت فيهما أسفار قيّمة، وعرف بهما رجال أفذاذ يتّسم الواحد منهم بالشخصية القويّة والعقليّة المبدعة الخلاّقة، والملاحظة الدقيقة والاستيعاب الشامل والجنوح إلى التجديد و الاجتهاد كابن مالك وابن هشام.[6]

2- حياته العلميّة:

نستعرض ههنا الحياة العلمية لابن هشام بدأّ بحفظ كتاب الله، وتتلمذه على يد علماء وشيوخ أجلاّء في مصر، والعلوم التي درسَهَا، وتصدّره للتدريس في الفقه وعلوم التفسير وعلوم العربية، وما شُهِد لهُ من تمكّن واقتدار.

فقد بدأ حياته العلميّة بحفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة ثمّ اختلف إلى مدارس مصر ومساجدها فأخذ عن مدّرسيها وشيوخها. فقد درس الفقه الشافعي على يد تقي الدين السبكي(756ه)، ومجد الدين الزنكلوني (740ه)، ثمّ تحوّل إلى المذهب الحنبلي، كما أخذ القراءات عن ابن السّراج وأخذ النّحو عن عبد اللطيف بن المرحل (744ه) وتاج الدين التبريزي (746ه)، وتاج الدين الفاكهاني (731ه)، كما سمع من أبي حيّان الأندلسي (745ه) ديوان (زهير بن أبي سلمى) ولم يلازمه. تصدّر لتدريس الفقه وعلوم التفسير بالقبّة المنصورية بالقاهرة[7]وقال عنه ابن خلدون :« ما زلنا - ونحن بالمغرب – نسمع أنّه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له (ابن هشام) أنحى من سيبويه ».[8]

3- مؤلّفاته:

في هذا المطلب نلفتُ النظر إلى بعض ما خلّفهُ ابن هشام الأنصاريّ من مؤلّفات قيّمة ومصنّفات فذّة في النحو والصرف واللغة وعلوم القرآن التي ضمّت الفوائد الجليلة والمباحث الدقيقة والمناقشات المتميّزة، والتي دلّت على تفرّغه للعلم، واصطباره لِنيْلهِ والظفر به.

لقد خلّف ابن هشام عددًا وفيرًا من المؤلّفات والمصنّفات القيّمة في النحو والصرف واللغة وعلوم القرآن وغيرها نذكر منها: الإعراب عن قواعد الإعراب، التذكرة في النحو، شذور الذهب في معرفة كلام العرب، وشرحه، قطر الندى وبل الصدى وشرحه، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ... إلخ، فإنتاجه الغزير الذي كان يربو عن الأربعين مؤلّفا لدليل قاطع على أنّه قد صبر وأذلّ نفسه للعلم حتّى ظفر بنبله فانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البالغ والاطّلاع المفرط والاقتدار على التّصرّف في الكلام، والملكة التي مكّنته من التعبير عن مقصوده بما يريد مسهبا وموجزا.[9]

ثانيًا- مفهوم الجملة وأصنافها عند ابن هشام:

يدور هذا المبحث حول مفهوم الجملة العربية عند ابن هشام الأنصاريّ وعلاقتها بمفهوم "الكلام" والشروط المحدّدة لها. ثمّ الوقوف على تصنيف الجملة العربية انطلاقًا مِمّا ذكره القدامى بالتصنيف الثنائي

عند الجمهور، أو التصنيف الثلاثي عند ابن هشام، أو التصنيف الرباعي عند الزمخشري. ثمّ النظر في اتّجاهات المحدثين في تصنيفها على غرار اتجاه القدامى بالأخذ بالتقسيم الثنائي كما هو عند عباس حسن وعبده الراجحي، أو الثلاثي كما هو عند مهدي المخزومي، أو ما خالف ذلك عند تمام حسان وغيره، ثمّ دراسة التصنيف الثلاثي للجملة عند ابن هشام الأنصاريّ، والمعايير التي راعاها، ولعلّ عامل "الصدارة" من أهمّها، صدارة الجملة وهو المفهوم الذي أكّد عليه، وهو مفهوم كان له حضور في بعض الدراسات اللسانية الحديثة العربية منها والغربية في الدرس التركيبي.

1- تعريف الجملة عند ابن هشام

يدور هذا المطلب حول مفهوم الجملة العربية عند ابن هشام الأنصاريّ، وهذا بمقارنتها بـ"الكلام" وعلاقتهما من حيث العموم والخصوص، والشروط المحدّدة لكليْهما مِنْ

إفادةٍ و إسنادٍ ومراعاة للمعنى والتركيب.

عرّف الجملة في قوله: «الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه. والجملة عبارة عن فعل وفاعله كـ «قام زيد» والمبتدأ والخبر كـ «زيد قائم» و «ظننته قائما». وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا مترادفين كما يتوهّمه كثير من الناس وهو ظاهر قول صاحب المفصّل، فإنّه بعد أن فرغ من حدّ الكلام قال: وتسمّى جملة، والصواب أنّها أعمّ منه، إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكلّ ذلك ليس مفيدا فليس بكلام »[10].

ففي كلام ابن هشام الفصل بين الكلام الذي احتوى معنى مستقلا لا يحتاج إلى تركيب أو كلمات تتمّ معناه وبين الجملة التي تمّ تركيبها بفضل تضمنّها للمسند والمسند إليه سواء أفادت معنى مستقّلا أو لم تفد إذ شرط الكلام الإفادة بخلافها، ثم إنّ ابن هشام – وغيره من النحاة – بالإضافة إلى اهتدائه إلى هذه الناحية الهّامة، فقد عرّف الجملة تعريفا روعيت فيه جوانب أساسية، فراعى في تحديدها مفهوم الإسناد، ومفهوم الإفادة فالجملة في نظره هي ما تركّب من مسند ومسند إليه، ومعنى ذلك أنّها لا بدّ أن تتركّب من عنصرين أساسين أحدهما يمثّل محور الحديث أو الموضوع الذي احتاج المتكّلم أن يتكلّم في شأنه ويمثّل الآخر ما يقوله المتكلّم في شأن هذا المحور ويتحدّث به عنه، كما أنّه يميّز زيادة على ذلك بين العناصر الأصليّة التي تتكوّن من المسند والمسند إليه التي لا يتمّ تركيب الجملة بدونها« والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره »[11]وبين بقية العناصر التي ليست ضرورية لاكتمال التركيب بدونها.

2- أصناف الجملة العربية بين القدامى والمحدثين:

ننظر في هذا المطلب إلى تصنيف الجملة العربية انطلاقًا مِمّا ذكره القدامى، وما ذهبَ إليهِ جمهور النحاة بالتصنيف الثنائي اسمية وفعلية، مع النظر في التقسيم الرباعي لها عند الزمخشري، وما تحدّث فيه ابن هشام بانتقاده لمذهب الزمخشري، ومن ثمّةَ انتهائه إلى التصنيف الثلاثي بإسقاطه الجملة الشرطية، واكتفائه بالاسمية والفعلية والظرفية. ثمّ النظر في اتّجاهات المحدثين في تصنيفها على غرار اتجاه القدامى بالأخذ بالتقسيم الثنائي كما هو عند عباس حسن وعبده الراجحي، أو الثلاثي كما هو عند مهدي المخزومي، أو ما خالف ذلك عند تمام حسان وغيره.

اتّفق جلّ النحويّين العرب على أنّ الجملة العربية صنفان هما: الاسمية والفعلية استنادا إلى ركنيْها اللّذين تقوم عليهما وهما: المسند والمسند إليه على الرغم ذلك أضاف بعض النحويّين أصنافا أخرى للجملة العربيّة نذكر منهم الزمخشري: الذي قال بالتّقسيم الرباعي للجملة حيث أضاف إلى الاسمية والفعلية الجملة الشرطيّة والجملة الظرفيّة وذلك في قوله:« والجملة على أربعة أضرب فعلية و اسمية وشرطية وظرفية وذلك نحو :(زيد ذهب أخوه) و (عمرو أبوه منطلق) و (بكر إن تعطه يشكرك) و (خالد في الدّار) »[12]، وهو تقسيم أبي علي الفارسي (ت 277هـ) كما أوضح ابن يعيش في شرحه.[13]

أمّا المحدثون فقد اختلفوا في تصنيفها، فمنهم من يجاري القدماء كعبّاس حسن وعبده الراجحي، فالراجحي مثلا يقول أنّ «الجملة العربية نوعان لا ثالث لهما، جملة اسمية وجملة فعلية ».[14] ومنهم من صنّفها ثلاثة أصناف كمهدي المخزومي الذي بنى تقسيمه للجملة وفق طبيعة المسند، فجعلها ثلاثة : الجملة الفعلية، والجملة الاسمية، الجملة الظرفية[15]، وأمّا تمام حسّان فعنده أربعة أصناف: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والجملة الوصفية، والجملة الخالفية.[16]

3- أصناف الجملة عند ابن هشام:

نُركّز في هذا المطلب على التصنيف الثلاثي للجملة عند ابن هشام الأنصاريّ، والمعايير التي راعاها وأكّدَ عليها في ما ذهبَ إليهِ ولعلّ عامل "الصدارة" من أهمّها، صدارة الجملة وهو المفهوم الذي ضبطهُ وحدَّدَ تعريفهُ مع الشواهد القرآنية التي كانت حاضرةً عنده ليستندَ إليها في طرحهِ وتحليله وهي من السمات التي عُرفَ بها في منهجه وتأليفه وإثبات آرائه.

صنّف ابن هشام الجملة ثلاثة أصناف مراعيًا في ذلك موقع العناصر المكوّنة لها من صدارة الكلام قائلا: « فالاسمية هي التي صدرها اسم: كزيد قائم، وهيهات العقيق، و قائم الزيدان ،عند من جوّزه وهو الأخفش والكوفيون والفعلية هي: التي صدرها فعل كقام زيد، و ضُرب اللّص، وكان زيد قائما، وظننته قائما، ويقوم زيد ، وقمْ . والظرفية هي المصدّرة بظرف أو مجرور، نحو أعندك زيد، وأفي الدار زيد إذا قدّرت زيدا فاعلا بالظرف، أو الجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف، و لا مبتدأ مخبرا عنه بهما، ومثل الزمخشري بذلك بفي الدّار من قولك :(زيد في الدار) وهو مبني على أنّ الاستقرار المقدر فعل لا اسم، وعلى أنّه حذف وحده و انتقل الضمير إلى الظرف بعد أن عمل فيه، و زاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية والصواب أنّها من قبيل الفعلية».[17] ووضّح مفهوم الصدارة في الجملة في قوله: « مرادنا بصدر الجملة المسند أو المسند إليه، فلا عبرة بما تقدّم عليهما من ظروف، فالجملة من النحو «أقائم الزيدان»، وأزيد أخوك، ولعلّ أباك منطلق وما زيد قائما» اسمية ومن نحو :«أقام زيد، وإن قام زيد، وقد قام زيد، وهلاّ قمت» فعلية ».[18]

بتتبّع ما ذكره ابن هشام فيما يختصّ بأصناف الجملة يمكن أن ندرك ثمّة معايير وضوابط تصّنف الجمل على أساس منها في أنماط، وليس حديثنا محصورا في الخوض في هذه المعايير والتعمّق فيها بقدر ما هو مستهدف تحديد واستيفاء التراكيب الإسنادية وأنماطها المختلفة بتسليط الضوء عليها من منظور حديث، فنرى أنّ ابن هشام قسّم الجمل اعتبارات عديدة من أبرزها اعتبار موقع العنصر اللساني ضمن عناصر السلسلة الكلامية، وهو" الصدارة"، فقد ضبط حدّ الجملة وحدّد صنفها من خلاله، وهوما استعملناه تحت ما يمكن تسميته بـ"التصنيف الموقعيّ" وفيه الجملة ثلاثة أصناف: اسمية، فعلية، ظرفية.

فلقد اعتمد فيه ابن هشام على ما تبدأ به الجملة من مفردات، فإن بدئت باسم سمّيت اسميّة، وإن بدئت بفعل سميّت فعلية، وإن بدئت بظرف أو جار ومجرور سمّيت ظرفية:

* فالاسميّة: هي التي صدرها اسم كزيد قائم وهيهات العقيق وقائم الزيدان، حيث أنّ أساس تحديدها بالاسميّة صدارتها، وذلك في حالات ثلاثة:

- ما كان صدرها اسما صريحا أو مؤوّلا، أو وصفا رافعا لمكتف به عند الأخفش والكوفيّين، بينما البصريون يشترطون لعمل الوصف اعتماده على نفي واستفهام، أو حرف نداء أو صفة، أو مبتدأ أو اسم فعل .

فمن الاسم الصريح قوله تعالى:﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾[19] ، ومن المؤوّل قوله أيضا:﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[20] فـ (أن تصوموا) مبتدأ بمنزلة الاسم الصريح، ومن اسم الفعل:

هيهات هيهات العقيق. فـ (هيهات) اسم فعل ماض بمعنى (بَعُدَ) مبنى على الفتح في محلّ رفع مبتدأ، و(هيهات)الثانية للتوكيد، و(العقيق) فاعل لاسم الفعل سدّ مسدّ الخبر.

ومن الوصف الرّافع لمكتف به قوله تعالى :﴿أراغبُ أنت عن آلهتي يا إبراهيمُ﴾[21]فـ (راغب) مبتدأ ليس له خبر، ولكن له فاعل يغني عن الخبر وهو (أنت) لأنه وصف اعتمد على استفهام .

وهنا تظهر دقّة النحاة ومنهم ابن هشام؛ فهم قد أعربوا الوصف مبتدأ، ثمّ أعربوا الاسم المرفوع به فاعلا أغنى عن الخبر ولم يعربوه خبرا لأنّ هذا المبتدأ في حقيقة الأمر ليس مسندا إليه كالاسم الصريح، أو المؤوّل، وإنّما هو مسند، وهذا الفاعل المرفوع مسند إليه وإن كان الوصف في تأويل الفعل، والفعل لا يصحّ الإخبار عنه، فكذلك ما كان في موضعه.

والجملة الفعلية هي :« التي صدرها فعل ، كقام زيد، وضُرب اللّص• وكان زيد قائما، وظننته قائما، ويقوم زيد، وقم »[22]التي كان صدرها فعلا سواء كان ماضيا أو مضارعا أو أمرا نحو قوله تعالى :﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾[23]سواءً كان مبنيا متصرّفا أو جامدا، نحو: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[24] سواءً كان تامًّا أو ناقصًا﴿فسَجدُوا إلاّ إبليسَ كانَ من الجنّ ﴾[25]، وسواء كان مبنيا للفاعل أو مبنيا للمفعول نحو :﴿تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً۞ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾[26].

أمّا الجملة الظرفية المصدّرة بظرف أو بجار أو مجرور نحو: أعندك زيد، وأفي الدار زيد، إذا قدّرت (زيد) فاعلا بالظرف، أو الجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مخبرا عنه بهما[27]، ولعلّ آخر من استخدم هذا المصطلح من متأخّري النحاة كان ابن هشام في حين كان الزمخشري أوّل مستخدم له[28].

وذكر ابن هشام أنّ الزمخشري مثّل بقوله :(في الدّار) من قولك :(خالد في الدار) و هو مبني على أنّ الاستقرار المقدّر فعل لا اسم، وعلى أنّه حذف وحده، و انتقل الضمير بعد أنّ عمل فيه[29]، وهنا يظهر الاختلاف في مفهوم الجملة الظرفية بينهما وّيتمثّل في:

أ – اختلاف ابن هشام مع الزمخشري في صورة الجملة الظرفية، فالجملة الظرفية عند ابن هشام المصدّرة بظرف أو مجرور نحو: أعندك زيد أفي الدار زيد.

فهو يشترط في جملته هذه التصدير كشرطه في الاسمية والفعلية بينما لا يشترط الزمخشري ذلك، ومثاله هو (خالد في الدار). فالجملة الظرفيّة عند ابن هشام والزمخشري الاصطلاح نفسه لكنّها تختلف في المفهوم والتصوّر وبينهما بون شاسع .

ب- يجيز ابن هشام في الجملة الظرفية وجوها أخرى، فجملة (أفي الدّار زيد؟) اسمية "إنْ قدّرْنا المرفوع (زيد) مبتدأ أو مرفوعا بمبتدأ محذوف تقديره كائن أو مستقرّ، فالجملة اسمية ذات خبر في الأولى وذات فاعل مُغْنٍ عن الخبر في الثانية، وإن قدّرناه باستقرّ ففعلية أو بالظرف فظرفية"[30]، فالنموذج اللغويّ واحد، وخصائصه اللغويّة واحدة، والخلاف كلّه يرتدّ إلى اعتبارات التوجيه فحسب.

ج- ردّ ابن هشام على رأي الزمخشري فيما يخصّ الجملة الشرطية التي رآها من قبيل الجملة الفعلية، وذلك حين قال: « وزاد الزمخشري وغيره الجمل الشرطية والصواب أنّها من قبيل الفعلية »[31]، لأنّ الأصل عند ابن هشام – كما ذكرنا – صدر الجملة ولا اعتبار بالأداة إذا سبقت الفعل. كما أنّه قدّر الفعل المحذوف في قوله تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾[32]تقديره(وإن استجارك أحد من المشركين استجارك) لأنّ الشرط عنده لا يدخل على الجملة الاسمية ومعظم الآراء ترجّح فعلية الجملة الشرطية وإلى هذا الرأي نميلُ.

فأساس هذا التصنيف كما يبدو لنا جليّا واضحا هو اعتبار صدر الجملة والاعتماد عليه وقد بيّنه ابن هشام ونبّه إليه قائلا : « مرادنا بصدر الجملة المسند أو المسند إليه ، فلا عبرة بما تقدّم عليهما من الحروف...»[33].

كما نبّهَ أيْضًا في مسألة التقسيم أنّهُ يجب النّظر إلى أصل الجملة قبل إدراجها في قسمها، فالمعتبر عنده ما هو صدْرٌ في الأصل[34]. أيْ بإرجاع الجملة إلى أصلها الأوّل، فالجملة من نحو: كيف جاء زيد؟ ومن نحو: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾[35]ومن نحو: ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[36] و﴿خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ﴾[37]فعليّة لأنّها في نيّة التأخير[38].

فبالنظر إلى ما ارتكز عليه النحاة العرب وعلى رأسهم ابن هشام في تصنيف الجملة في سياق الدرس النحوي وما تأسّست عليها تلك النظريات والمفاهيم من مبادئ واعتبارات مع ما تشكّل في الدرس اللساني الحديث من مدارس واتجاهات بنظرياتها اللغويّة ومناهجها المختلفة نجد أنّالدراسة التركيبيّة التوزيعيّة كما أخذت ميزتها من النشاط اللّساني الأوروبي باعتمادهما مبدأ التوزيع والمقصود به موقع العنصر اللّساني بالنسبة إلى العناصر المحيطة به في السياق الكلامي لذلك أخذ التوزيعيّون- كما أخذ قبلهم بعض النحاة العرب الأقدمين- يحدّدون كلّ جزء من أجزاء الكلام بما يمكن أن يوجد حوله من عناصر في السياق الذي يرد فيه[39]، وقد كان سبيلهم في ذلك الوقوف على الأشكال اللغوية وصفا لسانيّا مراعاة الجانب الشكلي وإغفال المعنى فإنّنا نجد ابن هشام في تقسيمه الثلاثي للجملة : اسمية وفعلية وظرفية، قد راعى في التمييز بينها واعتمد على نوع العنصر الذي بدئ به، وانتمائه إلى صنف من أصناف الكلام المحدّد، إضافة إلى موقعه في الجملة الذي يتقيّد بأن يكون في صدارتها، وهو ما يمكن أن يصطلح عليه بـ(التصدير) أو(الصدارة).

خاتمة:

إنّ ما يمكن الانتهاء إليه- في هذه الدراسة- بعد استقراء مقولات ابن هشام الأنصاريّ وجملة آرائه في الجملة العربية لاسيما من حيث مفهومها وتصنيفها، ومركزية اعتبار "الصدارة" كعامل محوريّ في ضبط وتحديد ذلك ما يأتي:

- الجملة عند ابن هشام هيّ ما تركّب من مسند ومسند إليه سواء أفادت معنى مستقّلا أو لم تفد، فالمسند والمسند إليه هما عنصران أساسيان أحدهما يمثّل محور الحديث أو الموضوع الذي احتاج المتكّلم أن يتكلّم في شأنه، ويمثّل الآخر ما يقوله المتكلّم في شأن هذا المحور ويتحدّث به عنه.

- اتّفق جلّ النحويّين العرب القدامى على أنّ الجملة العربية صنفان هما: الاسمية والفعلية استنادا إلى ركنيْها اللّذين تقوم عليهما وهما: المسند والمسند إليه على الرغم ممّا أضافه بعض النحويّين من أصناف أخرى كإضافة الجملة الظرفية والشرطية في التصنيف الرباعي عند الزمخشري. أمّا المحدثون فقد اختلفوا في تصنيفها، فمنهم من يجاري القدماء كعبّاس حسن وعبده الراجحي بالأخذ بنوعي الجملة اسمية وفعلية، ومنهم من صنّفها ثلاثة أصناف كمهدي المخزومي: الجملة الفعلية، والجملة الاسمية، الجملة الظرفية، وتمام حسّان: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والجملة الوصفية، والجملة الخالفية.

- صنّف ابن هشام الجملة ثلاثة أصناف مراعيًا في ذلك موقع العناصر المكوّنة لها من صدارة الكلام، وهي عند ثلاثة أصناف: الاسمية هي التي صدرها اسم والفعلية هي: التي صدرها فعل، والظرفية هي المصدّرة بظرف أو مجرور. فالجملة إنْ بدئت باسم سمّيت اسميّة، وإن بدئت بفعل سميّت فعلية، وإن بدئت بظرف أو جار ومجرور سمّيت ظرفية.

- اختلاف ابن هشام مع الزمخشري في صورة الجملة الظرفية، فالجملة الظرفية عند ابن هشام المصدّرة بظرف أو مجرور نحو: أعندك زيد أفي الدار زيد، فهو يشترط في جملته هذه التصدير كشرطه في الاسمية والفعلية بينما لا يشترط الزمخشري ذلك.

- يجيز ابن هشام في الجملة الظرفية وجوها أخرى، حسب تقدير العنصر المحذوف، فجملة (أفي الدّار زيد؟) اسمية بتقدير المرفوع (زيد) مبتدأ أو مرفوعا بمبتدأ محذوف تقديره كائن أو مستقرّ، والجملة اسمية ذات خبر في الأولى وذات فاعل مُغْنٍ عن الخبر في الثانية، وبتقدير استقرّ ففعلية أو بالظرف فظرفية "، فالنموذج اللغويّ واحد، وخصائصه اللغويّة واحدة، والخلاف كلّه يرتدّ إلى اعتبارات التوجيه فحسب .

- كما أخذت الدراسة التركيبيّة التوزيعيّة ميزتها من النشاط اللّساني الأوروبي باعتمادهما مبدأ التوزيع والمقصود به موقع العنصر اللّساني بالنسبة إلى العناصر المحيطة به في السياق الكلامي، فقد أخذ قبلهم بعض النحاة العرب القدامى وعلى رأسهم ابن هشام الأنصاري يحدّدون كلّ جزء من أجزاء الكلام بما يمكن أن يوجد حوله من عناصر في السياق الذي يرد فيه، وموقعه ضمن عناصر السلسلة الكلامية، وهذا ما يتكشّف عند ابن هشام في تصنيفه الثلاثي للجملة: اسمية وفعلية وظرفية، وقد راعى في التمييز بينها واعتمد على نوع العنصر الذي بدئ به، وانتمائه إلى صنف من أصناف الكلام المحدّد، إضافة إلى موقعه في الجملة الذي يتقيّد بأن يكون في صدارتها، وهو ما يمكن أن يصطلح عليه بـ(التصدير) أو(الصدارة).

- قائمة المصادروالمراجع:

- أحمدحسّاني، مباحثفياللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعيةالجزائر، دط، 1999م
- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، الهند، دط،1343هـ
- الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت،دط، 1991م
- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف القاهرة،ط8، دت
- صلاح روّاي، النحو العربي نشأته تطوّره مدارسة رجاله، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة، دط،2003م

- عبدهالرّاجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية بيروت،دط، 1983م
- عبده الرّاجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة، العربية للطباعة والنشر بيروت،ط2، 1988م
- عصام نور الدين، ابن هشام الأنصاري حياته ومنهجه النحوي، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، لبنان،ط1، 1989م
- عليأبوالمكارم، التراكيبالإسنادية،ط1، مؤسسةالمختارللنشروالتوزيع، القاهرة، مصر2007م
- محمدحماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر العربي،دط، دت
- مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي بيروت، لبنان،ط2، 1986م
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح :محمد محي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 2003م
- ابن يعيش، المفصل، مكتبة المتنبي القاهرة، دط، دت

هوامش وإحالات المقال

[1] ينظر: شوقيضيف، المدارس النحوية، دار المعارف القاهرة،ط8،دت، ص 250.

[2] عصام نور الدين، ابن هشام الأنصاري حياته ومنهجه النحوي، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، لبنان،ط1، 1989م، ص5

[3] ينظر: شوقيضيف، المدارسالنحوية، ص 208.

[4] ينظر: ابنحجرالعسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، الهند، دط،1343هـ،308/2.

[5] عصام نور الدين، ابن هشام الأنصاري حياته ومنهجه النحوي، ص10-11

[6] المصدر نفسه، ص10-11

[7] صلاحروّاي، النحو العربي نشأته تطوّره مدارسة رجاله، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة،دط،2003م، ص627 .

[8] عبدهالرّاجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة، العربية للطباعة والنشر بيروت،ط2، 1988م، ص 252.

[9] ينظر: المصدر نفسه، 303/2.

[10] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح :محمد محي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 2003م، 431/2

[11] ينظر: ابنهشامالأنصاري، مغني اللبيب، 431/2

[12] الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت،دط، 1991م، 88/1

[13] ينظر: ابن يعيش، المفصل، مكتبة المتنبي القاهرة، دط،دت، 88/1

[14] عبدهالرّاجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية بيروت،دط، 1983م، ص77

[15] ينظر: مهديالمخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي بيروت، لبنان،ط2، 1986م، ص310.

[16] ينظر: محمدحماسةعبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر العربي،دط، دت، ص87

[17] مغنى اللبيب، 433/2.

[18] المصدر نفسه، 433/2.

[19] سورة الإسراء، الآية54

[20] سورة البقرة، الآية184

[21] سورة مريم، الآية46

• (اللّص) بتثليث اللاّم، جمعه لصوص بالضّم، وألصاص بفتح فسكون، وهو السّارق .

[22] ابنهشامالأنصاري،مغنى اللبيب، 433/2.

[23] سورة طه، الآية53-54

[24] سورة ص، الآية30

[25] سورة الكهف، الآية50

[26] سورة الغاشية، الآية4-5

[27] ابنهشامالأنصاري،مغنياللبيب، 433/2

[28] ينظر : عليأبوالمكارم، التراكيب الإسنادية، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر2007م، ص15.

[29] ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 433/2.

[30] المصدر نفسه، 434/2.

[31] المصدر نفسه، 433/2.

[32] سورة التوبة، الآية 06

[33] مغني اللبيب، 433/2

[34] سورة غافر، الآية81

[35] سورة غافر، الآية 81

[36] سورة البقرة، الآية87

[37] سورة القمر، الآية07

[38] ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 434/2.

[39] ينظر : أحمدحسّاني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،دط، 1999م، ص103- 104.